السماء وقدامك ولست مستحقاً ان ادعى ابنك ولا ان انفرس وابصر علو السماء من كثرة اثامي ولا ان اسمي اسمك المجيد بشفتي الخاطئتين لانني جعلت ذاتي غير مستحق للسماء ولا للارض لاني اسخطتك ايها الاله الصالح اسالك يارب واتضرع الا تطرحني من وجهك ولا تبعد عني ليلا اهلك لان لولا يدك سترتني كنت هلكت وصرت كغبار قدام الريح وكن لم يظهر البتة في هذا العالم لانني منذ تركت طريقك لم يلقني يوم صالح لان اليوم الذاهب في الخطايا المظنون صالحاً امس من سائر الاشياء المرة . فمنذ الآن اترجى نعمتك ان تعينني وتوبدني اذا اهتممت بخلاصي فالآن اجد طالباً اعضدني انا الضال عن طريق العدل . اسكب عليَّ كثرة رافاتك كما سكبتها على الابن الشاطر فانني قد اخزيت سيرتي . بدوث ثروة نعمتك ارحمني ولا تحقد على سيرتي الطالحة كما لم تحقد على الزانية ولا على العشار . ترأف عليَّ كاللص لانه كان آيس من الكل فعضدته وجعلته ساكناً في فردوس النعيم اقبل توبتي انا العبد العاطل فانني آيست من الكل لانك انت يا رب ما جئت لتدعو صديقين بل خطاة الى التوبة لانه آيس مني الكل . صل ايها الحبيب واعترف وليساعد الصلاة والاعتراف العمل لكيما تقوم صلاتك كبخور قدام الله وتسمع ايها الانسان عظيم اماناتك ليكن لك كما تريد والاله نفسه مرشد الضالين ومقوم الساقطين يمنحنا ان نكمل سيرة غير مذمومة ويقيمنا القاضي العدل في ذلك اليوم عن يمينه لان به يليق المجد والاكرام والسجود الى اباد الدهور امين

المقالة الثامنة والعشرون

في فريضة البتولية والزيجة وفي المحبة

اسمع الرسول قائلا اريد ان كافة الناس يكونون مثلي لكن كل احد له موهبة من الله واحد هكذا وآخر هكذا فمن الواضح انه يعني اهل العالم والزهاد في العالم فجعل بينهم فرقاً فاصلا قائلا لكل واحد موهبة من الله واحد هكذا وآخر هكذا فلم يمنع العالميين ان يتزوجوا بالسنة ولم يقطع الزهاد في العالم عن النسك اذ قال كل واحد له موهبة من الله لانه يامر اهل العالم قائلا من اجل الزناء فليتخذ كل واحد امرانه وايضا التزويج كريم على سائر الاحوال والمضاجعة غير دنسة . فالزناة والفسقة الله

يدينهم والزهاد في العالم افترض لهم النسك والحمية قائلا كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء فقد نصب جهادين فانت في اي موكب ترتبت وما هي العلامة التي تلبسها وما هي المواثيق والعهود التي عاهدت الله بها فانك ستعطي عنها الجواب لان الرب يقول ايها العبد الخبيث من فمك ادينك وكما تقدمنا فقلنا انه قد امر اهل العالم ان يتزوجوا بمقتضى الشريعة وفرض على الزهاد في العالم ان ينسكوا والا فلو كان بقوله ان التزويج افضل من التحرق امر الكل لما كان احد يقوم هذه الفضيلة ولا ايليا التسبيتي ولا اليشع ولا يوحنا وجماعة الذين اخصوا ذاتهم من اجل ملك السموات والرسول لو لم ينتظر عطية الجزاء لما قمع نفسه فلا ترتأي ان تقول كما يحتج قوم ان اولئك كانوا قديسين وانا خاطيء لانهم انما صاروا قديسين كونهم سلكوا بسيرتهم بعدل وبر فماذا تقول ان الصديقين كانوا بلا اجسام اليس كانوا في اجساد . اسمع الرسول قائلا ان كنا نسير بالجسد فلسنا حسب الجسد نحارب لان اسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون فمن الواضح ان اولئك قد قوتلوا بما انهم كانوا لابسي جسد وجاهدوا . فلذلك يقول اقمع جسدي واستعبده حتى لا اكون اكرز لآخرين واكون انا منفياً ثم يقتادنا الى الفضيلة بقوله صيروا متشبهين بي كما تشبهت انا بالمسيح فلنتصب نحن يا اخوتي ليلا باختيارنا نكمل شهوتنا ونجعل الوصية الرسولية غير عارفين قوة معناها . ماذا تقول ايها الاخ قد سمعت ان التزويج خير من التلهب ولم تسمع ما يتلوه قائلا اما بعد فان الزمان قصير كي يكون الذين لهم نساء كانهم ليس لهم والباكون كانهم لا يبكون والمسرورون كانهم لا يسرون والذين يبتاعون كانهم لا يملكون والذين يستعملون العالم كانهم لا يستعملونه لانه سيعبر شكل العالم فلذلك ايها الاخ لا تغدر بمن اعطاك هذه النعمة ولا تخالفه قائلا لك بالرسول . لاتتوان بالموهبة التي فيك التي اعطيتها بنبوة بوضع ايدي ذوي الرتبة القسيسية لكيلا تجعل ذاتك عاصياً مخالفاً فتبني ايضاً الآلام التي نقضتها لكن اوف الرب نذورك لانه قد كتب الاصلح الا تنذر اوفق من ان تنذر ولا تقضي . اجتهد ان تكمل سعيك بموجب الشريعة لتكون لك دالة وتقول مع الرسول قد جاهدت الجهاد المحمود قد اكملت السعي قد حفظت الامانة واعد لي منذ الآن اكليل العدل وليس لي وحدي بل وللجماعة الذين احبوا ظهوره له المجد

ايها الحبيب ان اهلت للعلم والفرز والموهبة الاسقفية فاحذر ان تثق بالموهبة

فتبقى غير مثمر لئلا تقول حينئذ ارحمني فتسمع مع ذوي اليسار لست اعرفكم لانه كتب ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل الى ملكوت السموات بل من يعمل مشيئة ابي الذي في السموات فان كثيرين يقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب السنا باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة وحينئذ اعترف لهم انني لا اعرفكم قط انصرفوا عني يا صانعي الاثم لماذا لانهم لم يحفظوا المحبة كما كتب · ان من لا يحب اخاه الذي يبصره فكيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يبصره والرسول يقول واريكم ايضاً طريقاً آخر افضل جداً · ان كنت اتكلم بالسن الناس والملائكة وليست فيّ محبة فقد صرت نحاساً يطن او صنجاً يجلب فان حويت النبوة وعرفت الاسرار كلها وكافة العلم وان كانت لي امانة حتى انقل الجبال من اماكنها ولا تكون لي محبة فلست شيئاً · وان اطعمت كافة ما امتلكه وان دفعت جسمي لاحرق ولا تكون لي محبة فلست انتفع شيئاً · المحبة تتمهل · المحبة لا تحسد تغار ولا تتفاخر ولا تتشامخ ولا تبتغي حقوقها ولا تغتاظ ولا تفكر سوءًا ولا تسر بالظلم · تفرح بالحق · تحتمل كل شيء · تؤمل كل شيء · تصبر على كل شيء · المحبة لا تسقط البتة · فها قد سمعت ايها الحبيب قوة المحبة فاقتنها في كل اعمالك فتحتضن المديح من الله · فاطلب اليكم يا احبائي واخوتي ان تذكروني انا العبد البطال في صلواتكم المستجابة لئلا تصير اقوالي باطلة ولا تسبقني قدام القاضي في يوم ربنا يسوع المسيح · لانني لا اعرف في ذاتي شيئاً سوى انتظار دينونة وغيرة نار تأكل المقاومين لكن ليعطني الرب واياكم ان ندخل الى ملكه براقاته ويمنح محبته لقلوبنا كلنا لان له المجد الى الابد امين

المقالة التاسعة والعشرون

في الضجر من العبادة

رب المجد يقول ادخلوا في الباب الضيق فان الطريق المودية الى الهلاك عريضة واسعة وكثيرون هم السائرون فيها وما اضيق واضغط الطريق المودية الى الحياة الابدية وقليلون هم الذين يجدونها فمن هو الذي قد وجدها فيخبرنا بطريقها · القديسون كلهم · الطريق التي سعى فيها جري الاناء المصطفى بولس واكمل سعيه واخذ

الاكليل فذاك يصف لنا مسلكها فيقول في كافة الاشياء فلنثبت ذواتنا كخدام الله بصبر كثير بغموم بشدائد بضيقات بانزعاجات باتعاب باسهار باصوام بطهارة بمعرفة بطول اناة بخيرية بروح نقي بمحبة لا رياء فيها بقول صادق بقوة الله باسلحة العدل اليمينية واليسارية بشرف وهوان بمذمة ومديح كمضلين ونحن محقون كمجهولين ونحن معروفون كمائتين ونحن احياء وكمؤدبين ونحن غير مقتولين كحزانى ونحن مسرورون دائماً كمساكين ونحن نغني كثيرين كمن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء · فمنذ الان يا اخوتي لنتمسك نحن بهذه الطريق التي تجندنا لها الى النهاية · ان كنت ساكناً تفكر في المحبوسين في السجن الذين ليسوا محبوسين فقط بل وفي اعناقهم الحديد واخرين في ايديهم الخشب · تفكر في رعاة الغنم · اية متاعب يحتملونها في البراري والجبال وفي الشتاء يعذبون من البرد وفي الصيف تحرقهم الشمس · ان كنت في كنوبيون اخطر ببالك الفصل المكتوب وكان لجماعة الذين امنوا قلباً واحدا ونفساً واحدة ولم يقل احدهم عن شيء من موجوداتهم انه له خاص بل كانت لهم الاشياء كلها مشتركة مشاعة · ان كنت تعمل الضفيرة تفكر في السائرين في البحر فانهم يكابدون شدة البحر ويعملون هذه الصنعة نفسها · ان كنت تعمل الزنابيل الصغار فافتكر في عاملي اشباك صيد السمك ان كنت ناسخ الكتب فافتكر في نحاتي الحجارة · لا تعوج معاني الاقوال الالهية المكتوبة بامانة وحق لان اية خطيئة اعظم من هذه ان تجعل المر حلواً والحلو مرًّا والنور ظلمة والظلمة نوراً لتضل الذين يقرأون · الويل لمن يعمل هذه الاشياء فانه يصنع للنفوس شكوكاً · ان كنت تخيط فافتكر في الذين يقدون السيور · ان كنت تعمل الحصر فافتكر في الذين ينشرون الرخام · ان كنت تعمل الاطباق المنقوشة افتكر في عمال القنب او تعمل الاطباق الساذجة افتكر في عمال هذه الصنعة العالميين او تغزل القنب والصوف افتكر في عاملي السرادقات او تعمل الكتان افتكر في دقاقين الكتان او تنسج ثياب الكتان افتكر في القزازين · ان كنت خبازاً افتكر في الشرط والاعوان · ان جعلت في البستان فتذكر القصارين الذين يلمسون الماء في الشتاء كما يلمسونه في الصيف او في المطبخ فافتكر في الصباغين والحدادين الذين يسهرون الليل كالنهار خاضعين للسلطان ويتقون فيصبرون ويعنتهم الرؤساء فلا يتوانون في صناعتهم · ان كنت بواباً افتكر في غلمان الرؤساء الارضيين او خادماً او اقنوماً او رئيساً فتذكر القائل اطلب الى

الناموس الذين فيكم انا القس رفيقهم وشاهد آلام المسيح وشريك المجد العتيد استعلانه ان ترعوا الرعية التي فيكم مراقبين لله لا بالزام واستكراه بل باختيار من الله لا ابتغاء ربح قبيح بل بنشاط لا كمن يستولي على الانصبة بل صيروا رسوماً وقدوة للرعية فاذا ظهر رئيس الرعاة تاخذون الاكليل الذي لا يضمحل. في كلما تعمله وتجبر فيه افتكر في صناعة تماثله فتقاوم المصارع وكلما تعمل بفكر او بكلام فليكن لك الضمير شاهداً ان الشيء الصائر هو من اجل الله فتخلص. اطلب اليك ان تقول هذا. ان تجحدت نعمة الله الذي دعاك الى ملكو الابدي ومجده وذهبت الى العالم. ماذا تزمع ان تعمل كما يخطر لك فكرك بل ماذا خطر لك محارب نفوسنا. ان انكرت النعمة المعطاة لك أنصير ملكاً وان تملكت الملك ألا يقتلك الموت وان ورثت نعمة جزيلة وجمعت غنى كثيراً الا تخلف تلك كلها لاخرين وتنصرف من هنا مجرداً كما يقول الرسول ما جئنا الى العالم بشيء. ومن الواضح انه لا يمكننا ان نخرج منه بشيء. ومن يزرع في الروح من الروح يحصد حياة ابدية. اقول لك ايها الاخ كما يليق بانسان. ان تركت نعمة الرب فلا تدرك النعمة الاولى التي كانت لك قبل ابتدائك بسيرة العبادة بل جيرانك واصدقاوك واهلك وانسباوك يحسبونك مثل مخالف وناكث قائلون من ذا الزمك واضطرك ان تبتدأ بعمل لا تستطيع ان تكمله. مكتوب في الناموس من كان مرعوباً وجبان القلب لا يخرج الى الحرب بل فليرجع الى بيته لئلا يجزع قلب اخيه. فالان ما بدأت به تممه فان تقدمت وسقطت فلا تستقر في الهفوة بل عد الى الرب لانه في السماء موجود من يمحو خطايا الراجعين اليه. لا تتنازل مطابقاً بسوء التمييز لان الليوث والتنانين لا تستطيع ان تضر كما يضر سوء التمييز للمذعنين له لان كثيرين من الناس لما ابعدوا سوء التمييز ولم يشاركوا اصنافه بجلوا من الاعاجم وخجلت منهم الاسد والتنانين ولم يقدر لهيب النار ان يلهب رؤوسهم لانه لم توجد فيهم رذيلة بل الصلاح والخيرية فاما سوء التمييز فيقطع فضائل النفس قطعاً لا رحمة فيه لانه لا توجد رذيلة بغير ان تكون امها سوء التمييز لان محبة الفضة قد استبان انها اصل كافة الشرور فذلك الاصل غرس من قرمة سوء التمييز لان هذه تغذي وتنمي قرمة الرذيلة. لا اصعب خبث منها في العالم فانها تجعل عشاقها يدفعون الى الاسر وتصورهم هزءاً لان المنافق يهرب من غير ان يكده احد فيذل في قفص فاما المضبوط من سوء التمييز فلا

يعذب من ايدي الاعاجم ولا في الغربة بل حيث ولد وتربى يعذبه ابناء جنسه وكبار قبيلته ولا يستشفع فيه احد وعذابه بالجهر لا بالسر لا عن عمل صالح بل عن عمل سوء التمييز وكافة الناس يدينون الواقعين في هذا الشر وان احتجبوا ليس من يعينهم او ينقذهم. ان اتبعت سوء التمييز فسيحدرك الى مطابق الجحيم لانه حطم الاقوياء ودمر المنازل وزعزع قواعد الملوك واسقطهم من شرفهم. ايها الحبيب الاخ ابتعد عن هذا الالم ابتعد جداً لا تتقيد بقيوده فان قيوده قيود من حديد وكبوله من نحاس قد طرح من احبوه واذلهم وصار لهم في هذه الحياة سقطة مذهلة وبعد الوفاة هلاكاً دائماً وما هو اسمه سوى سوء المعقول. رداوة التمييز يبغض الحق ويحب الكذب لا يقبل ادباً ويمر بعدم الادب لا يقبل التوبيخ ويطرح الوعظ يربي اللذات يتهاون بالله ولا يخجل من الناس. بدوه عدم المخافة من الله ونهايته الهلاك. ايها الرب ربنا يا من فتحت عيني الاعمى منذ مولده. افتح نظر ذهننا لئلا نسقط في وهق هذا الالم. لا تنكر ايها الحبيب نعمة الله أما قد علمت ان فرحاً عظيماً يصير في السماء بخاطيء واحد يتوب اكثر من الفرح بتسعة وتسعين صديقاً لم يضلوا ولم يحتاجوا الى توبة. ايها الحبيب ما هو حزن هذا الدهر وما هو سروره. الافضل ان نصطبر على الاحزان العارضة لنا من الاغترار بالطغيان لان شرف هذا العالم وطغيانه يضاهيان لهيب النار التي تاكل الحطب المتقد والوقت ينطفي. ولهيبها الذي كان مقداره عظيماً انتهى الى شرار ورماد فاما من يحتمل من اجل الله يضاهي من بنى منزله على الصخرة. فلذلك اطلب اليك ايها الاخ ان تستفيق لدى الرب وتذكر موقف الاله الذي لا عفو منه والدينونة الدهرية وطبيعتنا الضعيفة. ماذا يكون احقر من الناموسة وهل تستطيع ان تحتمل طنينها فماذا تصنع بالدود النافث السم الذي لا يرقد. اذا صار المساء تقول قد السراج فانه وقت الظلمة فماذا نصنع بتلك الظلمة المدلهمة الفاقدة الضوء اذا احترّ احد من شعاع الشمس يهرب الى الظل فماذا نصنع بنار جهنم التي لا تنطفيء. فلناخذ يا اخوتي الاحباء انموذجاً لتلك الدينونة من الامور المنظورة في هذا الدهر ان عمل احد طلاحاً وعرف وارسله روساء هذا الدهر الى الحبس فاي خزي وحزن يشملان نفسه ومع ذلك ربما تخدمه اهله ويلاطفه انسباوه ويسليه اصدقاوه ويتعاهده معارفه متواتراً فيتعزى بهذه الاشياء اذ لا يبتعد عنه الاهتمام وعند نهاية الامر يسعى الاصدقاء في تخليصه او يبذل الاموال او يترجى احداً اهله يعتقه من الحبس. فاما هناك

فالمسجون من تلقاء اعماله لا يجد من يعزيه لا اب يسعى في تخليصه ولا ام تجالسه تسليه ولا ملاطفة امرأة واصدقاء ولا خبر صالح ولا سماع سلامة ولا نور ولا صوت طير يغرد ولا تغيير الاحوال ولا استحالة الاوقات ولا نغمة الموسيقى ولا السرور لان هذه كلها تنتزع من المنافقين. فاما حظهم فبعكس ذلك كما كتب انه يمطر على الخاطئين فخاخًا ونارًا وكبريتًا ورياح عاصفة هذه حظ كاسهم فلنطلب الى الرب من كل انفسنا ان يسترنا في تلك الساعة المرهوبة فانه يسر بالمتخلصين وقد اعد لهم الخيرات التي لم ترها عين ولم تسمعها اذن ولا تخطر على قلب انسان. تذكر هذه وعد الى الرب لا تصر كفاس في يد المحال تقطع الغروس المثمرة ولا كريح الشوب تفسد الاثمار الحسنة. ايها الحبيب اما تعلم ان جرح احد وسقط سيف مصاف الحرب يرعب للمحاربين معه وان تسلح وتجلد وانقض بشهامة على المضادين يستنهض بنشاطه الكسالى والعاجزين والضعفاء ايها الحبيب تذكر اي تخشع كان لك حين بدأت بالعبادة فاين اذًا التخشع المملوء دموعًا. اين الشوق السماوي والتورع الجميل الفاقد الرياء. اين التواضع الرافع الى السموات. اين السكوت المملوء باطنه من الصلوات. اين صيانة العينين المطهرة الافكار. اين المحبة المستشفعة الاله فاذا ابغضت هذه واقصيتها فاذا تراك تقتني سوى سخطًا غضبًا صراخًا وافتراء اسرافًا وفمًا لا يلجم اه كيف صارت الارض المثمرة سبخة من رذيلة القاطنين فيها أهذه هي الاقوال التي عاهدت الله ان تخدمه بها في احزانك. تبصر يا اخي لئلا الذي يوذيك ويحرص ان يفصلك من الاخوة يصير لك سبب الموت المر والخزي واقول بالصدق اني اعرف واحدًا او اثنين او ثلثة اخوة تنحوا من الدير وساروا بالسيرة العالمية ايضًا ولم يطل عمرهم في العالم بل ماتوا موتة شنعاء. فلذلك اطلب اليك ايها الاخ ان تقاوم الشهوة ولا تتنازل وتطابق الذين يرومون ان يقنصوك سريعًا بل فليكن عقلنا ايها الحبيب فوقًا ونرفع ايدينا الى السماء مثل موسى والرب يحارب عن ضعفنا فلا تخش من وجوههم فلربما خطروا لك وطرحوا عليك مرض الجسد وعدم اشتهاء المعدة وتهمة من هو اعظم منك وطول الزمان والسيرة الاولى او ذكر الوالدين بالجسد واضرموا هذه ليحاصروا نفسك فاتكر في اذا كان ابن يعمل الشر فالشرائع تعذبه بحضرة والديه ولا يقدر احد ان ينقذه من ايدي المعذبين فكم تظن بالحري مجلس القضاء المنتظر حيث الملوك والامراء والاغنياء والفقراء يقفون و يشتملهم خوف صعب. ايها الحبيب عد الى ذاتك ولا تتهاون بالقاضي المقسط

والذي لا يعتد باحد ولا تستخف بالمهيب الذي لا يخمد البتة فان تهاونت فامتحن الامر من هنا ان كنت تستطيع مرارة النار وعذابها قد سراجًا وضع فيه طرف اصبعك ان استطعت ان تحتمل وجع الحرارة يمكنك ان تعين نفسك هناك لكن ان كانت جملة جسمك من خارج النار ولا يمكنك احتمال وجع العضو الصغير فماذا تعمل اذا طرح الجسم بكليته في جهنم النار لكن عسى احد الخيال يقول انا جئت لاصبر لكن ماذا اصنع فاني ضعيف وصغير النفس لانه لو شاء الله ان اخلص لكان اعطاني صبرًا. تعالوا يا اخوتي فابصروا نفس مستاسرة لا من الاعاجم والسيوف بل من سوء التمييز تعال محتجة بالاله الصالح المريد ان كافة الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون الذي صبر من اجلنا على الصليب الذي يستدعي قائلا تعالوا يا كافة المتعوبين والموقرين فانا اريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم فان نيري صالح ووقري خفيف سلوا فتعطوا اطلبوا تجدوا ومن يقرع يفتح له فكيف تقول اذًا لو شاء الله ان اخلص لكان اعطاني صبرًا. لم يطغيك العدو وتحتمل مشورته لم تحتمل مثل جسامة هذه الخسارة فتخلع عنك حلة المجد وتنفصل من سيرة الملائكة وتتمرغ في آلام الهوان مالك ولهذه الفضيحة كيف تحتمل مثل هذا العار ان تسمع انك شالح وجاحد نعمة الله. مالك ولهذا الموت ان تبصر ذاتك ملقى في الظلمة القصوى حاملا اثمار الخزي والاخوة الصابرين في خلاص الرب والمكافين في سرور ربهم. الى اين تستطيع ان تهرب او اي موضع يقبلك هاربًا من وجه الرب الذي تريد ان تنكره وتغدر به. فلذلك اطلب اليك ان تصبر لئلا يوافي اليك المكتوب لقد كان الاصلح لهم الا يعرفوا طريق العدل افضل من انهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة التي دفعت اليهم وقد اصابهم المثل الحق كلب يعود الى قيه وخنزير يتمرغ في مراغة الحمأة فليخطر بذهنك ايها الحبيب اننا في هذا العالم غرباء ونزلاء وكثيرون نهضوا بالغدوة فلم يدركوا المساء وآخرون ناموا مساء فلم يدركوا البكرة. اسمع القائل الانسان يضاهي الامر الباطل وايامه تعبر كعبور الظل. اطلب اليك ايها الاخ الحبيب ان تصبر قليلا فان من يصبر الى الغاية يخلص لانه لا يعلم احد ان كان حضر اوان انصرافنا من اجل هذا تتكاثر علينا التجارب فلا نسأم ولا نرجع الى ورائنا بل الاولى ان ننسى الامور التي وراء ونمتد الى ما قدام لندخل مع الختن قبل ان يغلق الباب

لانه قبل تيقظوا وصلوا · فانكم لا تعرفون اليوم والساعة وقد قال المخلص ايضاً كما كان في ايام نوح هكذا يكون ورود ابن البشر لانه كما كان في ايام الطوفان ياكلون و يشربون يزوجون و يتزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الى السفينة وجاء الطوفان فاهلك الكافة كذلك كما صار في ايام لوط كانوا ياكلون و يشربون يبتاعون و يبيعون يغرسون و يبنون الى اليوم الذي خرج فيه لوط من سدوم امطر الرب النار من السماء واهلك الجماعة قاطبة نظير هذه يكون اليوم الذي يجيء فيه ابن البشر · يا احبائي لنحترص على خلاصنا فها الكتب الالهية تنذرنا باليوم لنخلص بالتوبة من السخط ونرث الحياة المؤبدة اذا عملنا الاعمال المرضية لله فان لبثت في عصيانك القديم مقيماً في فكر عدم التقوى فاعلم انه لا يبطىء انتزاعك لان صادقاً هو القائل ها الفاس وضعت عند اصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيدا تقطع وتلقى في النار · اسمع ايضاً مثل التينة كان لانسان شجرة تين في كرمه فجاء يطلب فيها ثمراً فلم يجد فقال لفلاح الكرم ها ان لي ثلث سنين منذ صرت اجيء اليها اطلب ثمراً فلا اجد فاقطعها لماذا تبطل الموضع فقال دعها هذه السنة حتى احفر حولها واطرح زبلا فان صنعت ثمراً والا فتبها بعد تقطعها · فتبصر يا اخي حذراً ان يكون قد كان زمان الاجل فانك لا تجد زماناً آخر · هلموا فنسجد ونبكي امام الرب الذي خلقنا · ارفع يديك اليه مع قلبك ونتقدم اليه بعبرات دائماً مع النبي سلمني من طين الحماة لئلا اتورط فيه وانجني من الذين يقتونني ومن المياه العميقة · لا يغرقني دوار الماء ولا يبتلعني القعر ولا يفغ الجب علي فمه استجب لي يا رب فان رحمتك صالحة انظر الي بكثرة رأفتك لا تعرض بوجهك عن عبدك ولانني حزنت فاستجب لي سريعاً اصغ الى نفسي وانقذها من اجل اعدائي نجني لكي يقول هو لك الفصل المكتوب تشجع وليتايد قلبك واصطبر للرب فتشكر لصلاحه وتقول صبرت للرب صبراً فاصغى الي واستمع طلبتي واصعدني من جب الشقاء ومن طين الحماة واقام على الصفاه قدمي وقوم مناهجي وتوابعه تبارك الرب المعطي شعبه قوة وتأييدا ومبارك الهنا الى اباد الدهور

المقالة الثلاثون

في التواني والفرق بين سيرة العابد وغيره

كما ان السيف يقطع عصب الفرس ويلقي راكبه متقطراً هكذا عادة العزم الردي تقطع قوة النفس وتدفعها الى الحزن والحزن يبلي الواقعين فيه · من يعزم ان يمضي فيدخل مدينة بعد مسافتها خمسون غلوة فيمشي تسعة واربعين غلوة ولم يسلك الغلوة الواحدة و يقول انه بلغها فقد خرج من عند اهله ووطنه وما وصل المدينة اذا جاء احد في الساعة الحادية عشرة وابتدأ يعكس عمله و يقتلع الغروس المنصوبة لا ياخذ اجرة لان ربنا يسوع المسيح يقول من يصبر الى الغاية يخلص وايضاً من يضع يده على سكة الفدان و يلتفت الى ورائه لا يستحق ملك السموات لان امراة لوط حين التفتت الى وراء صارت عمود ملح فلذلك كان الرسول كان ناسياً ما وراء ممتدا الى ما قدام جارياً نحو الاشارة · فاصبر انت ايها الحبيب فان هذا العالم سيعبر وشهواته تزول فاما من يعمل مشيئة الله فيبقى الى الابد لاننا غرباء في هذا العالم فان عملنا ما دام لنا زمان الافعال المرضية للرب فسنحتضن الثواب · اقتن الصبر ايها الحبيب فقد كتب بصبركم تقتنون انفسكم · ان انوش ارضى الله مائتي سنة بعد ان ولد ماتوشالح ونحن نضجر انفسنا في هذا الزمن اليسير · ايها الحبيب قاوم الافكار الضارة وقل مع الهاتف قد صلبت مع المسيح ولست انا الحي بل المسيح يحيا في · ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ام ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه فلهذا يقول حيدوا عني ايها الاشرار فافحص وصايا الهي وجامع الحكمة يقول باطل الاباطيل كافة الاشياء باطلة بعد تلك الثروة والشرف فلست اقرب اتعابي للباطل لئلا بعد انصرافي يرثها آخرون وادي انا عنها عقاباً لكنني اقدم اتعابي للاله الصالح الرحوم الواهب الحياة بعد الوفاة والمعد للذين يحبونه الخيرات التي لم تبصرها عين ولم تسمعها اذن ولم تخطر على قلب انسان · نعم ايها الحبيب تشجع وليتايد قلبك واصطبر للرب فيكون منصرفك بسلامة وتعاين الصديقين هناك مستبشرين بخلاصك و يستوطن هناك في حضن ابرهيم مع العازر لانك اخترت المسكنة واصطبرت على الحزن واحتملت التعيير ولم تمقت الاستحقار من اجل هذا

يقبلونك بسرور في المساكن المؤبدة حيث يهرب الحزن والوجع والتنهد . هناك
يعاين الحياة والنور الصادق يسوع المسيح رجاء كافة البرية فادي نفوسنا ملك المجد
ويفرح قلبك وسرورك لا ينتزعه احد منك

ايها الحبيب ان زهدت في العالم وصرت عابدا فتيقظ لان حيل العدو كثيرة
واذا وجد فرصة فيخطر لك هذه الافكار قائلا قد زهدت في العالم وتركت اهلك
فاذا انتفعت أليست الوحوش تسكن في البرية فانتهره قائلا يلعنك الله ايها المحال
فانت تقابس الانسان الذي صنعه الله بصورته ومثاله وتشبهه بوحش غير ناطق ولا
تستقر من ان تعوج طرق الرب المعهدة فاما عن فرق السيرة فاسمع اولا من آثر
ان يصير عابدا فليزهد في العالم وفي مشيئاته ويأخذ صليبه ويتبع المسيح مخلصنا. لا تخاصم
ولا تلعن احداً ولا تعاف ولا تذم احداً ولا تنلِ اقوالا كاذبة بدراية منطق
الفلسفة وهذيانها وانسك ولا تباشر بطراً فيكون اصدقاؤك ملائكة الله وعدوك
المحال . لا تنم فلاحاً ولا تتغطرس على اشياء المساكين . لا تغضب ارملة ولا تجبر
على يتيم . لا تهيم على الغنى . اكتف بالحاضرات . لا تبتغ التحيات ولا تتقيد
بالاضطراب بل اشتغل بخلاصك . لا تترفع بل واضع ذهنك بتورع . كن وديعاً .
رتل ولا تتعب . صل ولا تتنزه ولا تعان بهاول البحر في تجارات العالم . لا تهتم
ان تقتني شرفا ارضياً . عوض الصفارات والطبول والاغاني الموسيقية رتل للرب وصل
ثم وابكِ في بواطن خزائن دارك وتمسك طالباً غفران الخطايا . اذا صليت ابتهل
عن العالم اجمع . لا تقف ذوي مناظر خادعة مستهزئة بل ضعف الرجال الروحانيين
عوض لعب القمار الذي يقفر منازل ونفوس المتلاهين به . مد يديك الى الاشياء
التي توافقك الى اعمال وقراءة الكتب الالهية حاوياً عدم الاهتمام بالوالدين
وبالامور الارضية كرر الافكار في مواعيد المخلص واخف نار روحه في ذاتك
وهرب الشياطين . سر اذا جاءتك علة جسدانية لان الاكليل قريب . اذا جاءك
الضجر توقع الصبر من الله . اذ جاءتك خسارة ارضية تذكر يوم الوفاة كلها لان الاشياء
تبقى هنا . اذا تأذيت من التلذذ بالآلام ردد الافكار في مرارة التعاذيب . اذا
جاءك بغي طل اناتك لانه قد قرب من يبرر . اذا واتتك شتائم وتعاذيب داوم
على التفكر بانك قد قاربت آلام المخلص . اذا جاءك استعلاء ذهن صل الافتكار
في انك مزمع ان تعبر في النار . هذه مواهب النعمة للذين يخدمون الرب خدمة
مستقيمة وكافة المناقب اللائقة بالقديسين . فانت ايها المحال سيردك الرب خائباً

بلا فعل من قبل حيلك الخبيثة. نعم ايها الحبيب اسمع القائل قاوموا المحال فيهرب منكم
وصل عني انا الشقي لان مآثمي قد علت راسي ليرحمك الاله الرب بما انه صالح
ويحفظك ويخلصك ويبلغك الى ملكه ونجده فهو رجاء المؤمنين فان له المجد الى ابد
الدهور امين

المقالة الحادية والثلاثون

في ان محبة الله تعلو كل محبة

المريدون بالحقيقة ان يدفعوا انفسهم الى الرب من اجل الموعد المنتظر
ويحاربوا المعاند الخبيث . المحارب كل نفس بكل نوع حرباً متلوناً . سبيل كل
ان يتخذ قبل كل شيء امانة حقيقية ليستطيع ان يطفئ بها كل سهام الخبيث
المحمية فلما يريد المعاند ان يحل اختيار النية ويجذب رجاء الرب ومحبته يقاتل
النفس باشياء مختلفة اما انه يجلب الى النفس داخل احزاناً بروح الخبث او يزرع
افكاراً خبيثة وباطلة غير واجبة دنسة ويحرك ذكر الخطايا السالفة ويقنع النفس
ان تقضي بتيهها الى الرخاوة كانها غير ممكن ان تنال خلاصاً الى ان يدفع
النفس الى عدم الرجاء كانها هي الفاعلة في القلب فواحش الافكار المضلة الخبيثة
وان ليس روح غريب يخترع الخطيئة باطناً ويزرعها فيه بل هي تنشئ الرذيلة
فلا تؤثر ان تعرف ان النفس موجودة مع روح العالم الغريب من الله روح
الخديعة ليقتادها الى عدم الرجاء اويلقي عليها اوجاع الجسد ويجعلها تعير الناس
وتغممهم فان بدأ الخبيث ان يحارب النفس بهذه الاشياء فلا يجنح الانسان
من التوكل على الله بل فليلتصق بالمسيح وحده المتحنن والقادر ان يشفي امراض
النفس وليحبه دائماً ويدرس بذكره مفتكراً في هذا . انني ان ابتعدت من الله
ورجعت عن سيرة النسك المستقيمة الى اين اذهب سوى الى الهلاك وادفع نفسي
الى العدو الغاش فمن اجل هذا وان اخطر الخبيث لكل واحد من الاخوة كل
يوم وبارزه بربوات سيوف وسهام محمية وآلام الرذيلة والافكار الخبيثة الغير
واجبة ليرخيه ويرده من طريق العدل ويسحبه الى قطع الرجاء بهذا المقدار
سبيله ان يهرب بالحري الى الله ويتوكل عليه فانه هكذا يؤثر ان يختبر النفوس

ااحتجنه اليه ليعرف بتحقيق انها قد ابغضت كل شيء واحبت الله وحده وانها قد تكبدت شروراً كثيرة من قبل الرذيلة واحبت ان تقترب الى الله وتكمل مشيئته واقتنت شوقاً اليه اكثر واستهانت بربوات ميتات واحبته وحده واشتهت ان ترثه وان كافة حرصها وتوجعها طول ايامها احتسبته كشيء حقير لا يعادل شيئاً من الاشياء المرجوة لان الف سنة من هذا الدهر في العالم الآتي الغير بالي مقدارها مثل هذا القياس كما يملك الانسان حبة واحدة من كافة رمل البحر هكذا دهر الصديقين ومملكة السموات امر لا يعبر ولا توصف معرفته نظير ذلك الانفس اللواتي تجاهد بتفهم وتصبر بمثل هذا الرجاء على كل حزن ماسكة بتحقيق رجاء الرب فلا تخزى بل تنال الحياة المؤبدة والحقيقية وتوجد مختبرة في الحزن كما يقال ماذا يفصلنا من محبة الله . أغمّ . ام ضيق . ام اضطهاد . ام جوع . ام عطب . ام سيف وتوابعه . وايضاً الحزن يصنع صبراً والصبر تدرباً والتدرب رجاء والرب يقول بصبركم تقتنون انفسكم وايضاً من يصبر الى الغاية يخلص . ان صبر الانسان على الاحزان المجلوبة الآتية عليه من الخبيث برجاء وطول اناة وبشهامة تجعله متمكناً متوطداً وتوضحه موعباً خبرة ودربة . تفطن فيما اقوله ان اقاموك وحدك على كافة الارض ملكاً وقدموا لك سائر كنوز المسكونة ولم اقول هذا ان تملكت وحدك ومسكت المسكونة منذ خلق جنس الناس والى انقضاء الدهر . اتراك كيف تختار الرئاسة الكاذبة المحلة على الحياة الحقة التى لا تعبر الابدية حياة ملك السموات التي مملكتها لا انقضاء لها ولا تغيير . من الواضح انك ان ميزت تمييزاً مستقيماً ستقول حاشا لي ان ابدل ملك السموات بالملك البالي الزائل كما قال الرب ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ام ماذا يعطي الانسان فدية عن نفسه ان كافة العالم وملكه وامواله وشرفه اكرم منه النفس وحدها واوفر شرفاً ليس انها اكرم من مملكة الناس فقط بل لان الله لم يسر بواحدة من برايا ه ان تشاركه وتتحد بطبيعة روحه لا بالسماء ولا بالشمس ولا بالقمر ولا بالنجوم ولا بالبحر ولا ببرية اخرى من المرئيات الا بالانسان وحده الذي احبه اكثر من جميعها فان كانت برايا العالم الجسيمة والمكرمة والغنى او المملكة الارضية نفسها اذا اتخذنا رأياً صائباً لا نختار ان نستبدلها بملك الحياة الابدي والسماوي فماذا نقول عن شهوة ما من شهوات هذا العالم او بشرف باطل او بفائدة قبيحة . فمن اذاً يحب شيئاً من هذا العالم يفيده ويقايض به ملك السموات لان الشيء الذي يحبه الانسان هو الهه

كما قيل لما انغلب احد يعود اليه فيحتاج بالحقيقة من يشتهي الحياة المؤبدة ويتمنى ملك السموات ان يكون اعلى من امور هذا العالم كلها واعظم قدراً ويرفض كافة الحدود العالمية وكل الشرف الارضي وينفلت من قيود الهيولي كلها ويحب مجد المسيح السماوي ولا يمزج بتلك المحبة شيئاً اخر ولا يحب شيئاً من اشياء هذا الدهر او من امور هذا العمر لان المحبة الحقيقية التي تحب بها الله تقطع كسيف ذي حدين كل محبة اخرى للعالم وتمزق كل رباط هيولي ولا يستطيع شيء من الظاهرات ان يمسك تلك النفس لا لذة ولا شرف ولا ثروة ولا رباط محبة بشريه ولا شيء من امور الهيولي بل النفس التي تحب الله وحده لا تحب معه شيئاً آخر من اشياء هذا العالم لكن محبتها كلها متعلقة بمشيئته وحده مرتبطة به وتظفر وتغلب كل محبة ترابية هيولانية . محبة الروح سيف ذي حدين . المحبة التي كالسيف تقطع كل توجع وظن هيولي وتعلو ظافرة على كافة الحدود الارضية وتلتصق بالله وتفعل مشيئاته لجهادات عظيمة واوجاع شديدة موجودة في المواعيد الجسيمة مواعيد الحياة الدائمة . الانسان يحتاج ان يدفع نفسه الى الرب بجملته كما كتب ان يحب الله بكل القلب والطاقة والقوة ويتعلق به بكافة مشيئة ويصلب ذاته بالنفس والجسم في كافة وصايا ه المقدسة بغير انقطاع ليستطيع ان ينال الحياة المؤبدة الموعود بها للمحبين لله والمريدين ان يؤهلوا للملك الدهري فان كان في تحصيل الملك الارضي الزائل البالي اعراق جزيلة واوجاع وامراض غير نافعة ليمكن الذين يشتهونه ان يفوزوا به ويحصلوا في كرامة وشرف الرياسة الزائلة فكم بالحري يجب عليك ان تتوجع وتحرص وتجتهد بكافة النشاط من اجل الملك الابدي الغير بال والفاقد التام وتحتمل كل شيء لترث مثل جسامة هذا المجد الذي لا يبلى وربما يستبين عندك واجباً انك تحتاج مثل وفور هذه الاوجاع لتقتني تلك الامور الزائلة الارضية والامجاد البالية . أفتؤمل ان تملك مع المسيح الى ابد الدهر ملكاً لا يشيخ ولا تشاء ان تتوجع وتجاهد في هذا الزمان القصير الذي تعيشه على الارض لتملك بالله في الدهر كله . فانا اعتقد ان من له عقل يسير جداً يستوضح عنده ويظهر في تمييزه ان واجباً على الانسان ان يجاهد في هذا الزمان القصير ويجتهد ويحاضر لينال الاكاليل والغلبة الى الابد وذلك افضل من ان يتراخى في هذا الزمان اليسير متصرفاً في اللذات الارضية فيشتمله الحزن والخزي الى الابد فان اشتغل الانسان بالافعال الصالحة واستنار بالامور المنطوق

بها من الكتب المقدسة نهتف به ونمدحه وتجله كافة الاقوال والمصاحف والفرائض وكتب الحكماء من خارج وكافة الالسن تشهد للمكمل ما في الكتب فعلا والذي يقاوم شهواته الرديئة عند الله فيلسوف حقيقي لان المتزين بكلام الحكمة والمفتخر بها وما بذل شهواته يحسب بالكلية غير حكيم واحمق لانه لم يفحص عنه بآلام يسيرة فلا يحتاج ان يدفع الانسان ذاته الى الله باقوال كثيرة بل يصغي اليه بفعل الحق ويستنير ويتصرف بالوصايا المستفادة من الكتب الالهية والعمل بها الآن كافة اقوال الكتب الالهية والاقوال العالمية انما تتكلم عن الاعمال الصالحة الفاضلة والسيرة الممدوحة النفيسة فها كافة الناس يتحدثون بفضلك وينشدون ذكرك لتصرفك في افعال الفضيلة الممدوحة من الكافة · فلنحرص ان نتصرف في وصايا الرب في كل وقت اذ نحن مؤملون ان ناخذ ميراثاً من الخيرات المزمعة ومنتظرون شركة الروح دائماً لكيما تتقدس النفس والجسم ههنا ونكمل كافة الوصايا بمساعدة الروح ونصير مستحقين للمسيح وابناء الآب السمائي بشركة روحه ووارثي الاله وناظري المسيح في الميراث ونؤهل للخيرات المؤبدة متنعمين بالمسيح الى ابد الدهور امين

المقالة الثانية والثلاثون

في الصبر والتخشع

من يؤثر ان يرضي الله ويصير وارثه بالامانة ويسمى ابن الله ومولود من الروح القدس فليتمسك قبل كل شيء بالصبر وطول الروح ويجب عليه ان يحتمل بشهامة الغموم والضيقات والشدائد التي تدهمه · اما امراض وآلام جسدانية واما تعييرات ومسبات من الناس واما الغموم التي لاترى المختلفة ضروبها الواردة الى النفس من ارواح الخبث لتعيقها عن الدخول الى الحياة مريدة ان تنقادها الى الاسترخاء وصغر النفس وعدم الصبر فبتدبير الله تختبر كل نفس باحزان مختلفة ليستوضح الذين يحبون الله بكل انفسهم وان كانوا قد احتملوا سائر المحن المجلوبة من الخبيث ولم يبتعدوا من الاتكال على الله بل ينتظرون العزاء كل حين بالنعمة بامانة وصبر كثير فلذلك يمكنهم ان يخرجوا من كل محنة وهكذا ينالون الموعد ويحصلون مستحقين للملك فسبيل النفس التابعة قول الرب ان تحمل صليبه كل

يوم كما كتب ان من لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني فلا يستطيع ان يكون لي تلميذاً · الامر الذي معناه ان تكون مستعدا ان تصبر من اجل الرب على كل حزن وتجربة اما ظاهرة واما مكتومة وتتعلق بالرب دائماً لانه مفوض سلطانه ان يحزن النفس وان ينجيها من كل محنة وحزن فان لم تتشجع وتحتمل بشهامة مصطبرة على كل محنة وحزن بل تحزن وتضجر وتتثقل بالعارض وتتضايق وتسأم من الجهاد او تقطع رجاءها كانها لا تخلص · الامر الذي هو داب العدو ان يلقي الانسان في الضجر وصغر النفس لئلا يكون له رجاء او ينتظر كل وقت نعمة الرب بامانة لا شك فيها فمثل هذه النفس لا تصل في الحياة المنتظرة لانها لم تتبع آثار القديسين ولم تسلك في اثار الرب · تامل وابصر كيف الاباء منذ القديم : روساء الاباء والانبياء والرسل والشهداء عبروا في طريق الغموم والمحن فاستطاعوا بذلك ان يرضوا الله حين احتملوا كل محنة وحزن بشهامة والتذوا بالضيقات لانهم انتظروا الثواب كما يقول الكتاب يا ولدي ان تقدمت تخدم الرب فاعد نفسك للمحنة قوم قلبك واصبر · والرسول يقول ايضاً ان كنتم خلواً من الادب الذي قد شاركه الكل فانتم نغول ولستم بنين وفي فصل اخر ايضاً يقول كافة التي توافيك اقبلها كالصالحات عالماً انه بغير علم الله لا يصير شيء · والرب يقول مغبوطون انتم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا فيكم كل كلمة خبيثة كاذبين من اجلي افرحوا وتهللوا فان ثوابكم جزيل في السموات والطوبى للمطرودين من اجل البر فان لهم ملك السموات فالمطرودون اما يطردون من الناس ظاهراً واما يضطهدون من ارواح الخبث سراً الذين يقاومون النفس المحبة لله ويلقونها في غموم مختلفة ليعيقوها عن ان تدخل الى الحياة لتختبر ان كانت تحب الله باصطبارها على كل حزن وتمسكها بالرجاء الى النهاية وانتظارها الخلاص او تظهر من قبل ضجرها وسآمتها ونقص رجائها انها لاتحب الله لان الاحزان والمحن المتباينة توضح النفوس المستحقة وغير المستحقة اللاتي لها امانة ورجاء وصبر واللاتي ليس لها لكيما في كل حال تظهر النفوس المختبرة والمستحقة والمؤمنة الصابرة الى الغاية المالكة رجاء الامانة وهكذا تقبل الفداء بالنعمة وتصير وارثة الملكوت بعدل فكل نفس تؤثر ان ترضي الله فلتتمسك بشهامة الصبر والرجاء قبل شيء · وهكذا تستطيع ان تنجو من كل مقاومة وحزن من العدو · لانه الى هذا المقدار يسمح الله ان يجرب الرب النفس المتوكلة عليه والصابرة له الى ان تدفع الى محن واحزان لا يمكنها احتمالها كما يقول الرسول

صادق هو الله الذي لا يهملكم ان تمتحنوا بما يفوق طاقتكم لكنه يجعل مع المحنة منفذا ليمكنكم احتمالها لان ليس كما يؤثر الخبيث يمتحن النفس ويحزنها بل بمقدار ما يسمح له الله فتحتمل النفس بشهامة وتتمسك بالرجاء بامانة منتظرة المعونة ممن له النصر الذي لا يمكن ان يهملها لانه بمقدار ما تجاهد بالامانة والرجاء والصبر ملتجئة الى الله منتظرة العون منه والخلاص بلا ارتياب ينجيها الرب بسرعة من كل غم مطيف بها لانه يعلم كم تقدر النفس ان تحتمل من الاختبار والامتحان وبقدر ذلك يسمح ان تجرب فاذا احتملت صابرة الى الغاية فلا تخزى كما كتب ان الحزن يصنع صبراً والصبر تدرباً والدربة والخبرة رجاء والرجاء لا يخزي وايضا كما يليق بخدام الله بالصبر الجزيل بالاحزان بالشدائد والضيقات وتوابع ذلك والرب يقول من يصبر الى ذلك يخلص وايضاً بصبركم تملكون انفسكم وفي فصل اخر يقول من وثق يارب فخزي ام من ثبت في كلامه فخذل او من استغاث به فاعرض عنه لانه ان كان الناس ذوو الفهم والعقل اليسير يعرفون ان يختبروا ويميزوا كم ثقل يحمل كل واحد من الحيوان من بغل او جمل وعلى حسب ذلك يحملونه والفاخوري اذا جبل الاواني واحكمها ان لم يدخلها الاتون لتحمى وتيبس فلا توافق لاستعمال الناس ويعلم ايضاً كم يحتاج ان يتركها في النار حتى تستوي ولا يتركها فيها زيادة عن الواجب لئلا تحترق وتتلف ولا يتركها اقل من ذلك لئلا تكون غير نافعة فان كان الناس في الاشياء البالية والظاهرة أُوتوا مثل قدر هذا التمييز والمعرفة فكم اولى بالله الذي لم يزل في علمه غير مدروك وفي فهمه لا يقاس وهو ذو كل حكمة يعلم كم تحتاج النفوس التي تؤثر ان ترضيه وتشتاق ان تنال الحياة الابدية من الامتحان والتجارب وتصبر بشهامة ونشاط ورجاء على كل حزن الى النجاز وحينئذ تصير مختبرة وموافقة لملك السموات . ان القنب لا يصلح ان يصير منه غزلاً دقيقاً ان لم يدق ويمشط كثيراً وبمقدار ما يدق ويمشط يصير نقياً مبيضاً موافقاً للعمل هكذا النفس التي تحب الله الداخلة في محن وتجارب كثيرة الصابرة على الاحزان بشهامة تصير مهذبة طاهرة وجزيلة النجابة في الروحانيات ذات صناعة دقيقة تؤهل لأن ترث المملكة السمائية ومثل الاناء الجديد اختراعه ان لم يلق في النار فلا يصلح لاستعمال الناس او كالطفل ما دام طفلا لا يصلح لاعمال العالم فلا يبني مدناً ولا يقدر ان يغرس غروساً ويأتي بثمار ولا يكمل عملاً اخر من اعمال العالم هكذا النفوس المشاركة النعمة الالهية

تهرب لحلاوة راحة الجسد بصفة اطفال لكونها لم تختبر بتجارب مختلفة واحزان من الارواح الخبيثة التجارب التي بها توضح الصبر فتلك النفوس هي اطفال لا تصلح للملك كما قيل ان كنتم خالين من الادب الذي قد شاركه الكل فانتم اذا نغول ولستم بنين فقد استوضح اذاً ان الاحزان والمحن موافقة للانسان وتجعل النفس مختبرة وصلبة ان اصطبرت على النوائب التي توافيها بشهامة ونشاط وهي متوكلة على المسيح منتظرة بامانة لا ارتياب فيها النجاة من لدن المسيح ورحمته فهي غير ممكن ان تخيب من موعد الروح ومن الخلاص من آلام الرذيلة وكما ان الشهداء القديسين صبروا في الظاهر على تعاذيب كثيرة وافضوا الى الموت وحفظوا الاتكال على الله وصانوا الاعتراف النفيس وظهروا بذلك مختبرين واستحقوا اكلة العدل والذين احتملوا تعاذيب كثيرة وصعبة جداً . اقتنوا عند الله مجداً ودالة اكثر وكافة الذين فقدوا الامانة وجزعوا من الاحزان والسياط ولم يلبثوا الى الغاية في الاقرار النفيس استوضحوا هنا وفي يوم الدينونة لا دالة لهم خازين . على هذا المقياس نفسه . ان النفوس التي تدفع الى الاحزان لتمتحن من ارواح الخبث فتعذب عذاباً ظاهراً وغير ظاهر . في الباطن بافكار خبيثة وظاهراً بالآلام الجسدانيه فاذا صبرت بشهامة متمسكة بالرجاء منتظرة عطية الجزاء من الرب تؤهل لاكلة العدل وتقبل باطناً الخلاص وسريعاً وتجد تلك الدالة دالة الشهداء بنعمة الله في يوم الدينونة لان شهادة الاحزان التي تكبدها اولئك بالصلب هولاء احتملوها من ارواح الخبث الذين فعلوا في اولئك المردة وبمقدار ما احتملوا احزاناً من مقاومات الخبيث وتمسكوا بالرجاء الى النهاية يخولون عند الله مجداً اعظم ويخلصون بقدر رجائهم ويؤهلون لتعزية الروح القدس ويرثون هناك الخيرات الابدية وكافة الذين يهربون من الجزع والخوف ولا يحتملون الاحزان بل يفضون الى السآمة وعدم الصبر وقطع الرجاء ويرجعون من الطريق المقسطة ولا ينتظرون رحمة الرب فهولاء يوجدون غير مختبرين ومرفوضين فكيف يمكنهم ان ينالوا الحياة الابدية لان كل نفس مضطرة من اجل المسيح الذي مات من اجلنا ان تطيل اناتها وتصبر وتحفظ التوكل عليه فاذ قد عرفنا هذه الاشياء يا احبائي فلا نرقد في خلاصنا الذي نناله بالصبر على التجارب المطيفة بنا وان الرجاء يثبتنا في التمسك بالوصايا وبه يليق المجد الى ابد الدهور

ان الاله الذي جبلنا اذ عرف ضعف ذهننا وسوء صناعة مضاددنا منحنا الكتب

الاشفية كنكنوز اشفية وخزائن اسلحة تلك التي توجد فيها اسلحة مختلفة انواعها لان داود يقول لقد جعلت ساعدي قوسا نحاساً وايضاً ارسل نبله فشتتهم واكثر بروقه فاقلقهم ٠ وفي فصل اخر يقول يتناول غيرته سلاحاً شاكا ويصطنع البرية سلاحاً للانتقام من الاعداء يتسربل درع العدل ويضع عليه خوذة الانصاف الذي لا يرائي يتخذ البر قوساً لا يحارب يرهف الحظ صارماً سيفاً والعالم يحارب معه الى الجهال يتسارع باصابة رشق شهائب بروقه ويطفر الى الاشارة كانها من قوس السحب المستديرة حسناً ويلقي عليهم البرد من مدر صخرة صعبة يغتاظ عليهم ماء البحر والانهار تطبق عليهم سريعاً ٠ يقاومهم ريح الاقتدار وينشفهم كالزوبعة واليشع النبي يقول لا تخف فان الذين هم معنا اكثر من الذين معهم وابتهل اليشع وقال يا رب افتح عيني الصبي ليبصر ففتح الرب ناظريه وابصر واذا الجبل مملوءاً خيلا ومركبة نارية محتفة باليشع فاما اشعياء النبي فقال وجعل فمي كسيف مرهف وخبأني تحت كنف يده وجعلني كسهم مختار وسترني بجعبته وقال حزقيال وانت يا ابن الانسان خذ لك سيفاً مرهفاً احد من موسى حلاق واقتنه لك والرسول يعلمنا قائلا البسوا سلاح الله الشاك ليمكنكم ان تقاوموا بازاء حيل المحال فاذا رشقنا العدو ندجج ذاتنا بالاسلحة المقدم ذكرها لان اسلحتنا ليست بشرية بل مقتدرة بالله لان صراعنا ليس هو بازاء دم ولحم لكن بازاء ارواح الخبث فهذه الكنوز يوجد فيها ادوية وافرة ومختلفة انواعها حتى ان قاوم احد المحال والمجرح يبادر بسرعة الى كنز الاشفية ويضع على الجرح مرهم التوبة ويصير صحيحاً ويحارب عن سيده ثانياً فان صغر النفس هو سهم العدو الذي جرح به كثيرين وطرحهم ٠ فلناخذ الصبر سلاحاً على صغر النفس مكررين في ذاتنا القول المكتوب. تشجع وليتايد قلبك واصطبر للرب فتتايد النفس من القول وتستطيع ان تحتمل بسهولة النوائب المتهافتة اليها من العدو الاجنبي وتستريح كانها متوكية على عصا او كمحمولة على مركبة يستخف تعبها. فلنتذكر هذا الفصل مخاطبين به انفسنا وبعضنا بعضاً. تشجع وليتايد قلبك وانتظر الرب فان هذا القول يوافقنا جداً ان صمنا ان سهرنا ان صلينا ان عملنا ان صنعنا شيئاً اخر لانه ينهض النشاط لاكمال الفضيلة المبروه بها ٠ جاهد ما دمت تجد وقتاً لتحصد من الان المختص بذلك اذاً لا تسترخ لا تحب البغض ارفض الجسد واغلك والسمع الباطل امقت العادة الرديئة والوقيعة فانه عما قريب تنصرف

من هنا ما لك والغيرة المرة والحسد والمعاداة للقريب وبعد قليل ستعود رماداً وترابا حب التخشع تنق الى الابات حب الحمية تنجيك من اتعاب كثيرة ومهمات باطلة ابك اذا صليت تجد نياحاً حيث عتيد ان تمضي ٠ اهتم بالعمل كما يليق بحكيم وفهيم فان الوقاحة والضحك لا ينفعانك في يوم الوفاة بل ولا الفاظ المزاح والخلاعة فهذه تمكث دائماً في قلب الجهال احذر من الرياء الكاذب ان لم ترهب الرب من صميم قلبك حب التواضع بقلب صادق فتجد نعمة لدى الاله المالك هنا وفي العالم العتيد ٠ ان اغلبت ذاتك ستتزعزع بسهولة كما تتحرك الورقة في الشجرة من الرياح لان ملاذ العالم تزول كالظل ٠ لا تكن بيت مرارة لئلا تفسدك المرارة وبكيك سمها قبل ان تدفع الى العذاب لا تخجل ان تحفظ الورع بقلب متواضع فان الذين يزدرون بك لا ينفعونك في يوم الشدة اتق الله بكل قوتك فيحميك كيف تخلص ليكن لك تواضع ووداعة فتحل عليك نعمة الرب ان دنس الجسد ليس فيه شيء سوى الاياس والنار التي لا تطفأ والطهارة تسبب سيف هذا الدهر مديحا وفخراً وفي العتيد تفيد اكليلا لا يذوى ايها الاخ ان جسمك هيكل للروح القدس الساكن فيك فاهتم بالهيكل لئلا تحزن الساكن فيك لكن لعل احد يقول انا اوثر ان احفظ نفسي من الدنس وانا لا اقهر جسمي فماذا اصنع فهذا يشبه من يشاء ان يمسك محاربه بلا قتال ولا تعب وكأننا نعطي الذين يحاربوننا نيلا برقادنا وعدم تحفظنا واهمالنا حراسة ابواب النفس فنصير بذلك مغتالين خلاصنا مانحين المضادين مدخلا كما اذا طمحنا باعيننا بلا تخجل متفرسين في الاشياء التي لا يجب معاينتها اذ العائش بالفضيلة لا يجوز ان يتامل جسده بغير تخجل فلا نسبب بذلك المضار لذاتنا واذا املنا مسامعنا الى الاقوال الرديئة والاغاني الزنائية ألسنا نكون سببا الخسارة لانفسنا وكذلك ندنس فمنا بالوقيعة والاقوال الفاحشة ولا نلجم لساننا كما كتب ان اللسان قد ركب في اعضائنا يدنس كافة الجسم ويلهب بكرة اللون ويحترق من جهنم والاناف نضمخها بالطيوب والادهان وايدينا نلقيها بلا ترتيب على ما لا يجب لمسها وارجلنا نطرحها في طريق غير مستقيم فهذه الاشياء نعملها هكذا فكيف يمكننا ان نقدم للرب غير العفة بل ولا وجه لنا واذ لم نمهد وجه الارض بالحمية والاتعاب فكيف يمكن ان نمنع الدخان من الدخول الى باطننا وابواب حواسنا مفتوحة بازاء الذين يوقدون النار بجانبها بلا انقطاع ٠ ان كرهت الدخان فاحفظ الابواب لئلا يسود

بيتك في الشتاء . سد نوافذ ابواب المنزل لئلا ينفر جسمك من البرد . كيف استأنينا لا نحرك متكاسلين عن منفعة النفس ويجب علينا ان نعطي جواباً لفاحص القلوب كيف ما حفظنا الهيكل الذي أوتمنا عليه فالبيت المعمول من طين وحجارة وخشب ليتدفأ به الجسم نهتم به بحرص والمنزل الذي هو افضل من ذلك لا نهتم به . خزي عظيم وقضية صارمة يحلان حينئذ بمن افسد هيكل الرب ان لم يستعد بالتوبة للصفح ويرحض الاوساخ بدموعه . فلننفض السبع الفارغ والفخر والغضب الانواع التي لا ثمر لها ويجب علينا ان نتامل سيرة القديسين ونضاهيهم ولنستفق لئلا تدينا النسوة الحريصات . تامل حرص رفقة وتواضعها فانك تعجب من فضيلة تلك المغبوطة كيف قبلت التغرب لانه قد كتب ان رفقة لما نزلت الى العين ملأت الجرة وصعدت فحضر الغلام الى التقائها وقال اسقيني ماء يسيراً من جرتك فقالت له اشرب يا سيدي وبادرت فحطت الجرة على ساعديها وسقته الى ان ارتوى من الشرب وقالت انا اسقي جمالك فاكملت الصوت الانجيلي قبل اجيال كثيرة . لان الرب يقول ان سخرك احد ميلا واحداً فاذهب معه ميلين هكذا هذه المغبوطة ضاعفت النعمة حين قالت له اشرب يا سيدي وانا اسقي جمالك الى ان تشرب كلها وترتوي واذ قالت هذا القول اثبتته بالفعل على حسب المكتوب ان ملك السموات ليس هو بكلام فقط بل بقوة لان رفقة افرغت الجرة كلها في المسقى وبادرت الى البئر لتستقي وسقت الجمال كلها فابصر فضيلة نفس لا عجز فيها ولا كبرياء ولا تعظم دعت الغريب سيداً خدمت المسافر كخادمة له بنية خالصة هكذا صنع يعقوب حين دحرج الحجر عن البئر وسقى غنم لابان اخي امه لكن ان قال احد انما صنع هذا لاجل حرمة الجنسية فسيوبخ هذا من افعال موسى لان الكتاب المقدس يقول ان موسى تنحى من حضرة فرعون وجاء الى ارض مدين فجلس على البئر وكان لكاهن مدين سبعة بنات راعيات غنم يأثرون ابيهن فلما اقبلن استقين الى ان اوعبن الاحواض ليسقون غنم ابيهن فلما جاء الرعاة اخرجوهن فنهض موسى لخلاصهن وسقى غنمهن . يا رب عظيمة نعمتك الشارقة في نفوس ابرارك لانهم قد تسربلوا بام الفضائل اي المحبة الفائقة المراءاة بتوجع وحرص عظيم حب ان تسمع تعاليم الكتب الالهية انا في كل يوم نهتم بغذاء الجسد وتلذذه بالاطعمة وطعام النفس لا نهتم به سبيلنا يا اخوتي الاحباء ان نداوم بطعام الجسد لتغتذي النفس بالروح القدس . كل كل يوم الخبز الذي تعطيه حكمة الله واشرب

الماء النابع من الصخرة الروحانية لينمو عقلك باستنارة العلم لان التمتع بالاطعمة الحسية حين تعبر المقدة تستقر لذتها . لم تتشامخ ايها الانسان بالحلة البهية لانه اذا لبس احد حلة جزيل ثمنها يلبسها في النهار فاذا ادركه الليل يخلعها ويأكل ويشبع وينعطف الى النوم وفي اثناء ذلك ربما تدب اليه وحوش ودبابات ثمينة واذا حان الصبح يقوم ويلبس ثيابه الحسنة ويتشامخ بالباطل الذي كان قبل هنيهة موضوعاً في الظلمة وبعد قليل سيفحص في القبر . ان اثرت ان تفتخر فليكن افتخارك بالرب وان كان لك غناء فاكنز لذاتك بحسن الصنيع كنزاً في السموات لانك ان احتشدت الى ان يجيء الموت وجاء الملائكة فتخاف الغامور بما لمن لا تورثه . لا تخف ان تضع اساً لسيرة صالحة فانك ان ذقت حلاوة الروح القدس فيستضيء عقلك بدراسة الاشياء التي لا تبلى فلذلك يقول الروح القدس ذوقوا وانظروا ان الرب طيب مغبوط من يوجد في ساعة الوفاة ذبيحة قدسية مرضياً للرب فانه يفارق بفرح حزين الجسد وهذا العالم الباطل واذا ابصرته جنود الملائكة في السماء يمدحونه كما يليق بنظيرهم في العبودية للرب

اما بعد فانني اجترئ ايضاً بفم دنس اتوسل اليك ايها القدوس الطاهر النقي من قلب خبيث وفاجر كل يوم وارسل اليك زفرات فان العدو جذبني الى دراسة الافكار الخبيثة واخجل ان ارفع طرفي الى السماء لانه قد صار لي خزي عظيم وعار من كثرة اثامي فاتضرع الى صلاحك ان ترثي لي يا الهي متحنن اطرد من ذهني المفسد الغاش واجعلني خالصاً قبل الموت من حظ المنافقين . يا رب اذكرني برحمتك ورأفاتك واصغ بسمعك الى طلبة عبدك لئلا ادان مع المستكبرين لا تطرحني من تجاه عينيك لئلا اصير نصيباً للهلاك ولا تغرقني في قعر اللجة لا تحبسني في مطابق الهاوية لئلا تفرش تحتي النار ويكون سكني الدود لا تحبسني في الظلمة الابدية تحت اساس الجبال مقيداً بقيود ازلية ولا تدفعني ملائكة غير راحمين لا تحرقني في نار لا تطفأ اذكرني يا رب وخلصني ايها القدوس المستريح في القديسين انت قلت يا رب سلوا تعطوا انما اطلب رحمة ورأفة لانك قد منحت الكل وسائلهم بسعة ولم تعير احداً ايها الرب الماسك الكل لانك لم تزل صالحاً وللناس ودوداً . امنحنا يا رب ان نجد دالة امام مجدك فليتمجد بنا اسمك وليفرح الصديقون بسرور في المساكن الدهرية منقذين من ايدي المنافقين المتكبرين من ذا يسمع القول المرهوب فيصمت عن الهتاف اليك كل ساعة لان الكتاب

القدس يقول ان كان الصديق بالجهد يخلص فالمنافق والخاطي اين يظهران اما نحن فمتوكلون على رافاتك نصبر متضرعين ان تنجي من النار التي لا تخمد ومن الخوف العتيد لانه في القديم يا رب قبض ملاكك على ناصية حبقوق وفي ساعة وضعه ببابل فوق جب الاسود وفي الحين رده الى ارض يهوذا ارضه فلتاخذنا يا رب نعمتك وتعبرنا بلا خوف تلك الهاوية العظيمة الرهيبة التي جعلت بين الصديقين والظالمين حتى اذا نجيتنا نقول المجد للاب الذي نجانا من ظلمة الجحيم وجعلنا في فردوس النعيم . المجد للابن الذي نجانا من النار التي لا تخمد والدود المؤبد واهلنا ان نصير وارثي اورشليم التي في العلا . المجد للروح القدس الذي نجانا من عقد الخطايا ومن الخزي الابدي وكلنا بابتهاج في النور الصادق الى ابد الدهور امين

المقالة الثالثة والثلاثون

في ان للرب الارض وما فيها وفي قيامة الموتى

على حسب ظني ان معنى هذا الفصل المقول هو ان كافة البرايا ملك للباري ونحن ضيوف وسكان وان كان احد تحت يديه ثروة ونعمة فليس هو صاحب الامتعة خصوصاً بل قهرمان لانه هو اخذ تلك الامتعة من انسان آخر وبعده ايضاً ينقلها الأجل الى آخر على حسب امر الباري فيجب ان نقر للمعطي بالنعمة والاحسان فهذه الاراء لما عرفها القهارمة الحكماء لم يهملوا اهتمامهم بعمل العدل مريدين ان ينالوا ذلك التطويب لان الرب يقول مغبوط ذلك الانسان الذي يجيء سيده فيجده عاملا هكذا اقول لكم حقاً انه سيقيمه على كافة قناياه لانه دبر اموره بانصاف فلذلك لا يتزعزع الى الابد لانه يقول داود مغبوط الانسان الذي يتراف ويقرض يدبر اموره بالانصاف فانه لا يتزعزع الى الابد ذكر الصديق يكون دائماً لن يخشى من سماع السوء قد اعد قلبه ان يتوكل على الرب فقد ثبت قلبه فلا يتزعزع الى ان يبصر باعدائه بدد ماله واعطى الفقراء فعدله يبقى الى الدهر يعلو شانه في الشرف يبصر الخاطيء فيغتاظ بصر اسنانه ويذوب وشهوة الخاطي . فقد كتب ان الصديق يكون مؤيدا ولا يخشى من سماع السوء فما هو السماع السوء

اظن انه فليخلع المنافق لئلا يعاين مجد الرب وشدوا يديه ورجليه والقوا العبد البطال في الظلمة القصوى وتنحوا عني يا ملاعين الى النار المؤبدة المعدة للمحال ورسله وعوض هذه يسمع الصديق . حسناً ايها العبد الصالح الامين اذ كنت على الخطوط القليلة اميناً فساقيمك على الجزيلة ادخل الى سرور ربك فلذلك منبع الرب الرازق كافة الخيرات ان نكون مشغوفين بالاشياء العالمية متالمين لما فقال هذا الفصل لا يمكن احد ان يعبد ربين لا يمكنكم ان تعبدوا الله والمال فلا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث السوس والارضة يفسدانها وحيث اللصوص ينقبون و يسرقون لكن اكنزوا لكم كنزاً في السماء حيث لا يفسده السوس والارضة وحيث ليس لصوص ينقبون ولا يسرقون لانه حيث ما يكون كنزكم فهناك قلبكم و يقول ايضاً بيعوا مالكم واعطوه صدقة واصنعوا لكم اكياساً لا تبلى وكنزاً في السموات لا يسرق وايضاً انا اقول لكم اصطنعوا لكم اصدقاء من مال الظلم لكيما اذا احتجتم يقبلونكم في مساكنهم الابدية لان الواثقين بقوتهم المتفاخرين بوفور ثروتهم يموتون كالناس و يسقطون كواحد من الروساء لانهم لم يحفظوا المودة لخالق فاما الذين يتوقعون الرب فيرثون الارض لان فيهم الكلمة نور وملح وقوة على حسب قول الرب انتم نور العالم وملح الارض حتى الآن العالم حاو في ذاته هذا الملح والنجوم لانه موجود وفي كل جيل وجيل الذين يخدمون الرب ولولا ذلك لما كان ثبت لانه زعم ان فسد الملح فماذا يطيب ليس فيه قوة لشيء الا ان يلقى خارجاً و يدوسه الناس واذ لم يوجد في السدوميين من هذا الخط سوى واحد فطالما كان الصديق حاضراً معهم لم ترسل اليد القادرة عليهم السخط لو لم تاخذه من وسطهم فلذلك مغبوطة البلدة وسعيدة المدينة مغبوطة القبيلة التي فيها صديقون بكثرة ومغبوطون الصديقون انفسهم الذين يخلص بهم العالم لان التطويبات والخطوط معدة للصديقين فلذلك فلنطوح اعمالنا ولنغاير سير الصديقين لنرث معهم المدائح والسعادة صائرين نوراً وقوة ومدينة للملك المعظم ليكون لنا فخراً لان بيده كافة اقطار الارض هو يعطي كما يقول المترنم الثلج كالصوف ويلقي جليده كالكسر من ذا يقف امام وجه برده يرسل امره ويذيبها تهب رياحه فتجري المياه تاخذ منه الارض نسيم العناية فتكتسي جمال بهائها بامره ومثل الماء مذهب مرصع بالجوهر يطرب الناظرين اليه فالطيور تتطاير مغردة صوتاً حسن النغمة طربة بانارة الهواء وذوات الاربع معاً تركض في المروج لانه قد ابتعت بقاع البرية والرعاة يبتهجون مسرورين بمواهب

الرب . الانهار تسير بسكون من تضاغط المياه وعدم ترتيب نهضاتها فتفرح البرايا المائية والحيتان تركض مسرورة بشروق الشمس والشجر عوض عدمها الورق تكتسي بازهارها وتتجمل بالورق وتحمل الثمر . الجبال والاكام والاودية وكافة الارض توشي بالزهر تشيد بمجد الرب لانه وشاها بزينتها كالعروس ونحن بنو الناس اذا مر الشتاء نفرح متمتعين بحسن اعتدال الاهوية وجمال خصب الاثمار فلنصنع منذ الآن اثمار العدل الحسن قبولها عند الرب ليكون لنا دالة ان نقول للباري يسر الرب باعماله لانه بالحقيقة يسر الرب بالعاملين العدل فلا يتشامخن احد بعقوله باطلا او بقوته او بثروته لان هذه تجف كالحشيش لكن المفتخر فليفتخر بالرب ماذا يكون في الناس معظماً او مكرماً اكثر من التاج الملوكي وهذا لن يدوم لراس الانسان لانه في جيل بعد جيل ينتقل من راس الى راس ماذا للملك لم يعطيه الله أليس الرب نفسه صنع السماء والارض وسائر البرايا التي فيهما أما خلق الماء منذ اسس الارض اية الاشياء التي يملكها الملك لم يعطيه الله اياها فانه يسود على الاجسام والاسلحة والاموال لكن قل لي من خلق هذه كلها ومن هو الذي كثر الاجسام بتناسل الاولاد ومن يمنح ايام حوائج المعاش ومن منحهم الفهم لعمل الاسلحة أليس هو الرب نفسه المحيي الكل من يرى المفتشين على المعادن ذات الفوائد أليس هو الرب من هو الذي يهز فتطرد الارض كورقة او كعود يسبح على الماء أليس هو الرب وهذا امر خفيف في عينيه لكن حدوثه يقلق الساكنين فيها وتشملهم الارتجاع وكافة الموجودات من ذهب وفضة ملابس عبيد واماء مراعي غنم وقطعان بقر وسرب خيل وجمال ان لم تشرق الشمس عليها تحسب كلا شيء . فالحكيم سفه والقوي ضعف والغني تمسكن وهم يقرون بعدل واجب ان ليس لاحدهم شيئاً وان كافة البرايا للباري فلنعرف نحن ضعفنا وكما انا اذا راينا عظماً او جمجمة من الذين سلف رقادهم نتنهد كذلك عظامنا يبصرها الذين بعدنا فيكتئبون لان من هذا الطين بعينه خلقنا كلنا فاذ قد تقدمنا فعرفنا هذه يا اخوتي فلنتواضع ذاتنا تحت يد الرب العزيزة ليعلينا في اوان التعهد ولنبغض السبح الباطل والتيه والجهل ولنهرب من الكبرياء فان الله يناصبها ولنحب التواضع فنصير ودعاء فيعلمنا الرب طرقه كم من نشأوا منذ انشاء العالم وكلهم ناموا على الارض وليس فرق بين عظام الملك وعظام الاسير ولا فضل للمقتني مركبة لجامها مذهب على الساعي برجليه ولا للمغتذي باطعمة فاخرة على العايش بالفقر ولا للجميل الصورة على قبيح

ولا للقتيل على القاتل بل ينام كلهم على التراب الى ان يبوق البوق المقدس فينهض الراقدون منذ الدهر لينال كل واحد منهم جزاء الاعمال التي عملها بجسده ان صالحة وان طالحة عجب عظيم نشاهد بغتة القبور تنفتح بصوت البوق والموتى الراقدون ينهضون منذ ادم والى تلك الساعة في اسرع من طرفة عين هكذا اذا قام الموتى غير بالين يقومون كلهم معاً . الملائكة يتحاضرون مع الصور العظيم يجمعون الصديقين من الاربعة رياح من اقاق السماء والى اقاقها ذلك الصوت يحيي الكل ولا يبقى من الناس احد فبعضهم يقوم الى قيامة الحياة ومنهم الى نشور الدينونة فاذا سمعنا عن نهوض الموتى فلا نكذبن ذلك لان كافة الاشياء ممكنة لله وليس شيء غير ممكن له وكان الذين طرحوا في الاتون بحجيم اللهيب وحفظهم بغير مضرة ولم ينلهم بلى ولما خرجوا من اتون النار وجدوا ان شعرة واحدة لم تحترق منهم ورائحة احتراق اللهيب المتسامي لم توجد بهم هكذا اذا قام الموتى غير بالين ليس العجب من ان شعرة منهم لا تهلك بل ان رائحة البلى لا توجد فيهم بعد مدة زمان رقادهم لان كافة الاشياء ممكنة لله ولن يصعب عليه شيء . اسمع حزقيال النبي قائلا وصارت عليَّ يد الرب واخرجتني بروح الرب وحطتني في وسط البقعة وكانت موعبة عظام الناس وادارتني حولها وكانت العظام على وجه البقعة كثيرة جداً واذا هي يابسة جداً وقال يا ابن الانسان هل تحيا هذه العظام فقلت يا سيد الرب انت تعلم فقال لي يا ابن الانسان تنبأ على هذه العظام وقل لها ايتها العظام اليابسة اسمعي قول الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام هنذا ادخل فيكم روحاً فتحيون واضع عليكم عصباً واكسيكم لحماً وامد عليكم جلوداً واعطيكم روحي فتعيشون وتعلمون اني انا الرب وحين كنت اتنبأ صارت ريح وحدثت زلزلة وبادرت العظام كل عظم منها الى مفصله ورايت واذا قد نشأ عليها العصب واللحم وصعد عليها جلد ولم يكن فيها روح وقال لي تنبأ يا ابن الانسان تنبأ على الروح فقلت بالروح . الرب ربنا يقول هذه الاقوال لتحضر الروح من الرياح الاربع وتنفخ في هولاء الموتى وليعيشوا فلما تنبأت كما امرني جاء اليهم الروح وعاشوا وقاموا على ارجلهم جماعة كبيرة جداً وخاطبني الرب قائلا يا ابن الانسان هذه العظام هي كافة بيت اسرائيل هولاء يقولون عظامنا قد صارت يابسة وقد ضاع رجاؤنا وهلكنا من اجل هذا تنبأ وقل لهم السيد الرب يقول هذه الاقوال هانذا افتح قبوركم يا شعبي واصعدكم من قبوركم وادخلكم الى ارض اسرائيل وتعلمون اني هو الرب . اذا فتحت مقابركم واذا

اصعدتكم من مقابركم واذا منحت جماعتكم روحي وتعيشون اسكنكم في ارضكم وتعرفون اني انا هو الرب تكلمت واصنع قال السيد الرب ولذلك لما جاء ربنا والهنا يسوع المسيح قال بفمه الالهي حقاً اقول لكم انه ستجيء ساعة وهي الان حين يسمع فيها الموتى صوت ابن البشر والذين يسمعون يعيشون وايضاً لا تتعجبوا من هذا. وفي فصل اخر مكتوب ايتها السماء انصتي فاتكلم ولتسمع الارض كلمات فمي فلينحدر كالمطر تعلمي ولتنزل كالنداء كلماتي. هذا هو النداء الذي يجدد الموتى ويحييهم ونبي اخر يهتف قائلاً الموتى سينهضون والذين في القبور سيقومون والذين في الارض يسرون لان النداء الذي منك شفاء لهم فكافة الاشياء ممكنة لله وليس شيء يصعب عليه ان كانت السموات او الارض او لجة البحار او الاعماق او خليقة ما اخرى فكلها في يده. كلها كلا شيء ولينعتك بذلك النبي القائل من قدر الماء بيده والسماء بشبره والارض بكفه من نصب الجبال بوزن والتلال بمعيار ويقول ايضاً الامم كلها قد حسبت عنده كنقطة من قادوس وكرجحان ميزان تحسب وهوذا الجزائر يرفعها كدقة تحسب بصقة ولبنان ليس كافياً للحريق وحيوانه ليس كافياً لمحرقة وكافة الامم كلا شيء قدامه. من العدم والباطل تحسب عنده فاما حبقوق النبي فيقول يا رب سمعت سماعك فخشيت يارب تاملت اعمالك فذهلت والرسول يقول في لحظة في طرفة عين عند الصور الاخير لانه يبوق فتقوم الموتى غير بالين ونحن نتبدل لانه ينبغي لهذا البالي ان يلبس عدم البلى وهذا المائت ان يتسربل عدم الموت فاذا لبس هذا البالي عدم البلى وتسربل المائت عدم الموت فحينئذ يكمل القول المكتوب ابتلع الموت بغلبة ايها الموت اين غلبتك. ايها الجحيم اين شوكتك فمن اجل هذا لا يبكين المسكين ولا يستعظم الغني ولا يحزن الضعيف ولا يتشامخ القوي ولا يغتم العبد ولا يفتخر المولى فان الجميع من الارض وفي التراب يسكنون الى ان يجيء الرب الذي يحيي اجسامنا المائتة. فليفتخر الصديقون ويسروا بالرب لانه مغبوطون كافة الذين يوجدون حينئذ اهلا لذلك الصوت المبارك تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم فاصبروا الان يا صانعي العدل محتملين الاتعاب من اجل حق الله فان تعب هذه الحياة الوقتية يمنحكم دالة جزيلة في المستانف وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نياحة وتعزية والبكاء الآن يسبب جلالا وفخرا لانه قد كتب مغبوطون كافة الصابرين لان الشعب الطاهر

يسكن في صهيون وحينئذ يدير المكتوب. ها الذين يخدمونني يسرون وانتم تحزنون ها الذين يخدمونني يبتهجون بالسرور وانتم تصيحون من اجل وجع قلوبكم وتولولون من تلقاء انسحاق الروح لان اسمكم يحصل لشعبي سيفاً وانتم يقتلكم الرب والذين يخدمونه يدعوهم باسم جديد الاسم الذي قد تبارك على الارض ويقول ايضاً انهم ينسون حزنهم الاول ولا يخطر بقلبهم لانه ستكون سماء جديدة وارض جديدة فلا تذكر الاولى ولا تخطر على بال افرحوا وابتهجوا الى الابد. اما انا الخاطئ فاني اذا اخطرت بذهني اية خيرات اعدت للصديقين واي غضب اعد للخطاة اتهاون بالامرين كلاهما واذ لا اعرف لدي عملا حسناً ابرز اليك هذا الصوت ايها الرب الصالح والفادي اللهم اغفر لي انا الخاطئ. ان ذلك العشار يفوق حقارتي اذ كان واقفاً على قدميه مطرقاً الى اسفل ويقرع صدره متضرعاً فانا بما اني مفرط في الهفوات انطرح على الارض على وجهي واضرب بجبهتي الارض هاتفاً اليك ايها المتحنن والطاهر والمرهوب اللهم اغفر لي انا الخاطئ. الغير مستحق ولا يكون لي هذا ديتونة اني اجترئ ان اسمي بلساني النجس وشفتي الدنستين اسمك الاقدس الفائق التسبيح الى الدهور بل فتصير لي الاستغاثة باسمك استنارة البشرة وقداسة الروح نظير رائحة البخور التي اذا ارتفعت تملأ البيت نسيماً طيباً فكم اولى بذلك ذكرك يا رب الذي هو احلى من الشهد ان يملأ النفوس قداسة واستنارة نفوس الذين يتوقون اليك بامانة. ايها المخلص اعطني شوقاً الى خلاصك مثل ارض ظامئة منتظرة المطر لاصنع قبل الموت ثمراً لئلا اخزى في يوم المجازاة. ارحمنا كلنا بما انك صالح نشكر اصلاحك يا رب لاننا كنا غير مستحقين فاهلتنا ان نخدم اسمك الاقدس وان نبسط ايدينا اليك يا ابا الكل نجنا من كل فعل شيطاني واعط اسمك الاقدس مجداً يا رب امنحنا ان نوجد كارض جيدة صالحة لكيما اذا قبلنا بذارك تثمر مائة وستين وثلثين. اعطنا يا رب ان نتجر الفضة التي اعطيتنا اياها لكيما اذا عشرنا تضعيف المن الواحد نقرب لك ثمر العدل فنوهل ان نرأس العشر مدن امنحنا يا رب ان نسهر ونستيقظ لاستقبالك ممنطقين احقاء اذهاننا ماسكين مصابيح نفسنا العقلية غير مطفئة منتظرين اياك يا الهنا ومخلصنا يسوع المسيح اهلنا يا رب لاختطاف الصديقين حين يستقبلونك في السحب لئلا نختبر تلك الديتونة المرة الفاقدة العزاء. بدد يارب قبل الوفاة ومق خطايانا الشاق حمله لئلا يكون لنا عاقة في ساعة الطيران ويحجبنا من مصاف الصديقين

الى النار التي لا تطفأ فالعدل هو جناح للطيران يحمل الصديقين من الارض الى السموات . نعمتك يا رب فلتصر لنا قوة ولتاخذنا في السحب مع الصديقين المختارين الى الهواء الى التقائك يا ملك الكل لتستقبلنا الملائكة القديسون بفرح و بوجه باش ونسجد كما يجب امام عرش مجدك ونعاين المجد الذي لا يوصف فاذا استوعبنا نعمة نهتف المجد لمن أَلبس الاذلاء البالين مجداً وعدم بلى المجد لمن اعطى المائتين عدم الموت . المجد لمن نجانا من فم السبع والعدو المفسد وصيرنا وارثين الملكه السماوي . ها جرثومة كافة الخيرات ها النور الذي لا يترجم الذي لا يتبعه ليل . السرور الذي لا ينعت الذي لا يشوبه حزن ولا الم لانه بالحقيقة يهرب الوجع والغم والتنهد . منذ الان نكون مع الرب دائماً هذه هي اصوات الصديقين والقديسين والنساك والمختارين في وروده وجماعة الذين استرضوا الاله الرحوم بالتوبة . يا احبتي فلنفيقن ولنصغ الى ذاتنا لنستوطن مع الصديقين و يفرح قلبنا ولا ينزع احد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للثالوث الاقدس والطاهر والمساوي بالجوهر الى ابد الدهور

المقالة الرابعة والثلاثون

في مدح يوليانوس الناسك

ان هذا الفاضل في النساك كان مملوكاً وكانت اوائله كما حدثنا غير مرضية عاش فيها بالقبائح ثم انثنى اخيراً الى المعرفة وسار سيرة حسنة واصابته شدائد من سيده في مدينة بعلبك التي عند لبنان لانه كان اشترك في عبادة الاصنام ولما مات مولاه زهد في العالم واحب الرب بكل نفسه وقلبه حتي قوّم تقريباً كل فضيلة لانه اقتنى تخشعاً كثيراً وتواضعاً زائداً ولم يصر نظير القوم الذين بعد انصرافهم من العالم يتوانون في تقوى الله فيهلكون لانهم يبذلون ذاتهم للتواني والبطالة ولعدم عمل وصايا الله ولا يمنطقون احقاءهم بالعفة فيغرقون انفسهم في قعر المساوي حتى ان قوماً وهم لابسو زى الديانة البهية تورطوا في الرذيلة من اجل شهواتهم جاعلين ذاتهم مسكناً لعسكر الشياطين . وقد اشتملني الرعب في مكان كنت جالساً حيث رايت راهباً شائخاً رزق ابناً صغيراً من المعصية فلم يستعف

ان يقدمه ذبيحة للشيطان من اجل محبة المال لكن معونة الله سبقت فخلصت الصبي وذلك انه اخذ الى موضع تحت الارض حيث قيل له ان فيه ذهباً كنوزاً مخبوءا خبأه الذين عملوا الناووس فلما عاين الشيطان علامة الصليب التي لبسها الصبي لم يجترئ ان يضره فلما عرف هذا اخفى الامر وغرضه وقام فانتزع العلامة من الصبي فصار ايضاً صوت من المطابق اذ قد افرز بجملته لله فهو غير مستعمل ولما تخلص الصبي بامر بديع حدثت بالاشياء التي لحقته كلها و بالنصر الصائر اليه من ربنا يسوع المسيح وصار هذا الامر شائعاً حتى اجتمع مجمع من الاباء القديسين للفحص عنه . هذه يا اخوتي صنعتها الوثنية في الصلاة الجامعة وعدم مداومة الصلاة والتيقظ فيها لان الترتيل والصلاة بتواضع فكر يخففان العقل من الآلام المحظورة و يجعلان النفس ينبع شبابها لاشتهاء الخيرات السمائية وكما ان محادثة الله بالصلاة النقية تجعل في النفس تواضعاً كذلك مخاطبة الملوك تنتج استعلاء راي الذين لم يقتنوا المخافة الفاضلة فمصاحبة الملك هي اذن اتون وموضع التصفية يوضح المختبرين والمنافقين فاما الذين قدام اعينهم الله كل حين فهم بالتقوى المفضلة يرفضون آلام الامور المنظورة فلذلك مغبوط الزاهد في العالم المتصرف في رفقة اناس قديسين وفي طاعة الاباء الروحانيين المستكمل سيرته بضمير نقي فانه لا يخزى في قيامة الصديقين والويل للذي يخالط و يعاشر قوماً لا بر فيهم ولا طاعة لهم فانه سيصير ايامًا مرة لان التامر والتفرد بالراي واتباع العزم بذاته تجعل الانسان مقفراً ومسكيناً من الاثمار والمواهب الروحانية ومن يعمل كل افعاله بالصاف فهو مغبوط فاما المغبوط يوليانوس فانه امات ذاته من الامور العالمية واختار الزي النسكي وجلس في قلايته و بقرب قلايته كانت قلايتي وكانت قلاية تجمعنا كلنا فكان يزورني في قلايتي وكنت ازوره في قلايته لانني كنت انتفع من محادثة ذلك الانسان واتعجب اذا ابصرت مثل ذلك العلم في انسان اعجمي لانه كان اصله من النواحي الغربية وكنت امجد الله الذي لا يشاء ان يهلك احداً بل يجتذب الكل الى التوبة وكنت اتذكر الفصل الانجيلي القائل حقاً اقول لكم ان كثيرين يجيئون من المشارق والمغارب و يتكئون مع ابراهيم واسحق و يعقوب في ملك السموات و بنو الملكوت يخرجون الى الظلمة البرانية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان والتنهد قائلا يا رب نجنا من الظلمة البرانية ومن صرير الاسنان واذكرنا في سرور شعبك وشاركنا بخلاصك لنعاين في صلاح مختاريك ونفرح

بسرور امنك ونمدح مع وارثيك اذ كرنا يا رب كاللص اذا جئت في ملكك وفك اجسادنا من القيود بمجد نعمتك موهلا اياها لاختطاف الصديقين في السحب لنرث جبلك المقدس بشفاعة قديسيك امين

وكان المغبوط يوليانوس قويًا لكنه انسقم من كثرة النسك لانه سلك وراء القديسين وكان لايعرف الكتابة فحرص ان يتعلمها هذا المحب لله وكانت له قلاية يسكن فيها مع ذاته وفيها مضجع صغير فلم يكتف بضيقته حتى ابتنى له داخلها موضعًا صغيرًا كقبر وجعل مدخله ضيقًا جدا فكان يدخل فيه كأنه في قبر ويصلي باكيًا وكان يعمل بيديه قلوع المراكب واحب التخشع والبكاء جدا اللذين لم يحبهما آخر حتى ان المجتازين بقلايته كانوا يسمعون صوت بكائه لانه كان يبكي كمن دفن اباه او ابنه وحيده ويندب بحزن لانه كان يضع خطاياه بين عينيه ويبكي بتوجع ليلا ونهارًا والليالي كان يستعمل فيها نومًا يسيرًا لان الاهتمام بالمجازاة كان استنهضه الى الحرص · فاما مقدار جملة المحن والاحزان التي احتملها من الاخوة المتوانين فلم توصف وكلها كان يجيزها بالتواضع والصبر غير متضجر منها وكيف كان سالمًا متمسكًا صبورًا ووديعًا وورعًا لا ثنية له لان الجالس في البرية يامتعة بكون ضيق الذهن مرتعدا في كل وقت وموضع واخيرًا يصير صيدا لفاعلي الشر فاما الفاقد القنية فذاك يكون مطمئنًا من الاغتيال وكان ايضًا بلا كسل وجزيل النشاط في العمل ممتنعًا من الترف متواضعًا بالكلام في الفعل في المشي لانه لم يكن مثلي ومثل نظرائي المتوانين ممضيًا ايامه في التواني بل استكمل بالتخشع سائر ايام حياته وكما ان الجالسين في السجن مقيدون اذا خرجوا الى مجلس الوالي يرتعدون من الخوف والجهاد كذلك المغبوط يوليانوس كان يتذكر متواترًا مجلس قضاء المسيح المرهوب فلذلك كان يبكي دائمًا مكررًا التفكر في الحكومة المنتظرة · حيث يكون التخشع والدموع والتواضع فلم يوجد هناك عدم الترتيب ولا امر طالح بل حسن الترتيب وجملة الصلاح واذ لا تحضر هذه ينقص اكثر الغرض المطلوب وكان يعتفي من مخاطبة النساء ويقطع سائر اسباب اللذات الباطلة ومتى ما ضرب الناقوس للصلاة الجامعة كان يجتهد ان يسبق فيلتقي كل اخ يجيء اليها هكذا كان يقف في الصلاة حاويًا نظرًا ثابتًا كأنه ماثل امام عرش ربنا يسوع المسيح نفسه وفي احد الايام قلت له ترى من يمحو المصاحف التي ههنا لان حيث يكون مكتوبًا اسم الله او الرب يسوع المسيح او المخلص اجد حروف هذه

الالفاظ المكتوبة ممحوة فقال المغبوط لا اكتم عنك شيئًا ان الزانية تقدمت الى المخلص وقبلت قدميه بعبراتها ومسحتهما بشعر راسها وانا اذا قرأت الكتب فحيث اجد اسم الهي مكتوبًا ابله بدموعي لكيما آخذ منه غفران الخطايا فاجبته مسرورًا ان الله متعطف على الناس وقد قبل نيتك فاطلب اليك ان تشفق على المصاحف فقال لي لا يتندى قلبي ان لم ابك قدام الرب الهي · تنسك بحرارة متوقدة اكثر من خمسة وعشرين سنة وتوفي بالرب كان متصرفًا في الاضطهاد وفي الطاعة فصار مستحقًا للتطويب من القائل · الطوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات تعيناي تهملان الدموع على مفارقة انسان الله قال هذا المغبوط وقتًا ما لاحد الاخوة ان اخًا رام ان يدخل الى البرية الجوانية يلتمس اناسًا يبصرون بناظر العقل فشر عليَّ من اجل الرب ان رايت ان اذهب معه ام لا فلما علم الاخ انه ذو عمل قال الافضل ان يسكت الانسان ويبتغي في السكوت الكمال لان من يستفحص عن امور صغار غير ثابتة يجول في البرية فليس ذلك محمودًا فقال له المغبوط ما هو الكمال وما هي الامور الصغار الغير ثابتة فقال له الاخ الكمال هو غاية كل قول وكل فعل لانه قد كتب نهاية القول اسمع الامر جدا اتق الله واحفظ وصاياه فاما التي تعرض لكل واحد منا في هذا الدهر ان كانت محزنة وان كانت صالحة فلها نهاية فلذلك تبطل بالزمان فاما التي تعرض عند الخروج من هذا العالم فهي غير مائتة فليكن في عقلنا يوم الدينونة والمجازاة ليكن عقلنا كاملا بالرب ولا نعمل كاثنين سافرا الى بلدة بعيدة فتحير احدهما في الطريق وطفق يسأل الذين صادفهم عما لقيهم في الطريق قبل عشرة علامات منه فاجابه اولئك ان الطريق صعبة فسالهم قائلا وبعد الطريق الصعبة ماذا فقالوا ارض يانعة مخضرة فلما رآه رفيقه يسال عن امور الطريق باهتمام قال اكفف ايها الرفيق عن الاستفحاص عن امور الطريق التي انت عازم ان تسلكها مثل ساع سباق لان الطريق تشبه العمر الانساني فمن اجل هذا يجب ان نترقب اكثر لاما نصادف في مسيرنا فيها بل ما يعرض لنا بعدها ولنطلب كيف سبيلنا ان نستوطن في تلك البلدة براحة · البلدة التي نزمع ان نقطنها دائمًا بعد كمال العمر وانصرافنا من هنا ترى اين يكون مسكننا في ذلك الدهر اين يكون حظنا في العمق او في العلا في النياحة او الاوجاع في الظلمة او في النور في النار او في النعيم · هذه فلنستبحث عنها روحنا ولنتكلم بها فمنا لا يعد مثل هذا الاهتمام من قلبنا ما دمنا في هذا العمر الوقتي ولنتجنب الذين يومون